ان نقطة الضعف المركزية في التجربة النضالية الفلسطينية ، كانت في رأيي ولا تزال تكمن في عجزنا عن التفريق الحاسم بين الستراتيجية والتاكتيك . والسياسي الثوري الناجح والممتاز هو ذلك السياسي القادر على هذا التفريق والقادر على استثمار حرية الحركة بين أهدافه الثابتة والتاريخية وبين أهدافه المرحلية والمؤقتة .

ومرفوض أي تشنج ذهني يقول بغير ذلك ، بل أن مثل هذا التقدير هو نوع من المزايدة على الذات شبيهة بقضبان الحديد نضعها تلقائيا واراديا من حول أنفسنا .

هل يعني ذلك انني من الموافقين على الدولة الفلسطينية ؟ لا . أقولها ببساطة ودون تبجح ، ولكنني من دعاة تبرير هذه « اللا » من خلال مناقشة المشروع وتسجيل ما أستطيع من أهداف في شبكة العدو .

وفي رأيي واجتهادي ان الرفض الذكي لفكرة « الحكومة المؤقتة » التي طرحها الرئيس السادات ، والرفض المشابه والمحدد لفكرة «الدولة الفلسطينية» من قبل قيادة المقاومة والذي تمثل في التصريح الذي أدلى به الاخ ابو عمار في هذا الصدد والذي قال فيه : « في معظم الاوقات كان بعض الدول العربية يتصرف بوحي من تصور خاص به . على ان الثورة الفلسطينية منذ بدئها قامت على تصور واضح ومحدد بشأن مصير فلسطين . اي الدولة الديمقراطية غير العنصرية . وسنواصل كفاحنا من أجل هذا الهدف . وعلى هذا فأي تحرك يجري خارج هذا التصور لا علاقة لنا به البتة » [الرأي العام ٧/١٣]، كان علامة نضوج سياسي مميزة بالنسبة للرفض الصارخ الضاج لمشروع روجرز . لقد كان هذا الموقف بهدوئه كالطعم لكل من تونس ومن وراءها ولتل ابيب اضطرها للخوض في التفاصيل فكشفت عن حقيقة موقفها وسجلت بالتالي على سياستها — أمام من هم عادة معها — **موقفا سلبيا سيحمل في طياته التبرير المطلوب دوما لنا في الاستمرار بحمل السلاح وتصعيد كفاحنا المسلح .**

بينما لو انبرينا ، بعفوية ساذجة ، للرد على هذا المشروع بعنف وقطع وتخوين الخ ... ماذا تكون النتيجة ؟ تصمت اسرائيل وتقول للرأي العام : أرأيتم موقف الارهابيين ؟ انهم لا يريدون أي حل سوى اقتلاعنا وتدميرنا الى آخر الاسطوانة المعروفة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نكون قد فشلنا حتى في « تحييد » رئيس عربي تجاه موقفنا بغض النظر عن اهمية هذا التحييد وتقدير شعبنا أو قادتنا له .

ان الموقف الفلسطيني الرافض للوجود الاسرائيلي الصهيوني الاستعماري هو موقف مبدئي عادل .وقد اكتسب هذا الموقف تأثيره وفعله الايجابي بعد انطلاق الثورة وطرحها مفهومها لمستقبل فلسطين . وقد كان للثورة ولمفهوم الدول الديمقراطية الذي آمنت به واعلنته ، الفضل فيما كسبته قضيتنا من أصدقاء ومؤيدين ، ولم يكن الفضل في ذلك لا للتنازل ولا للمساومة .

ثم ومن ناحية ايجابية ، تتعلق بشعب فلسطين بالذات ، باعتباره وقود الثورة وأداتها ، انني من المؤمنين بحماس هذا الشعب وايمانه بعدالة قضيته واستماتته في سبيل تحقيق أهدافه . ولكن أليس من حق هذا الشعب على قادته أن يعملوا دوما على تنويره وتثقيفه وتحويل حماسته الى قناعة نضالية مستمرة وعدم تركه فريسة الاعلام الآني يرفعه مرة وينزله مرة اخرى . **ان الصراع طويل طويل ولكن لا يكفي أن نقول ذلك ونمضي . لا بد من افهام الشعب بأن طول المسيرة الثورية وتكلفتها مهما كان ثمنهما يبقيان في النهاية أقل كلفة وخسارة من الاستسلام للمشاريع المشبوهة والحلول التصفوية .**

نحن مطالبون بالغوص كثيرا في شرح ابعاد قضيتنا وصراعنا ، ولا يكفي الاعتماد على شواهد التاريخ بترداد أمثلته من فيتنام أو الجزائر على أهمية هذه الشواهد وما توقده في النفوس من همم وعزائم .